Journal Of the Iraqia University (74-4) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

صفة الجنتين في سورة الرحمن والفرق بينهما دراسة موضوعية

أ.م.د. محمود عريبي سلمان النعيمي
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الاسلامية/ قسم القرآن الكريم وعلومه

The Characteristics of the Two Gardens in Surat al-Rahman and the "Differences Between Them: An Objective Study"

Asst. Prof. Dr. Mahmoud Aribi Salman Al-Naeme
University of Fallujah / College of Islamic Sciences / Department of Qur'an and Its Sciences
الايميل: dr.mahmoud.alnaymi@uofallujah.edu.iq

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.فإنَّ القرآن الكريم، كلام الله المعجز، هو معين لا ينضب وهداية للخلق أجمعين. ومن أعظم ما اشتمل عليه كتاب الله تعالى وصف اليوم الآخر وما أعدّ الله فيه لعباده من نعيم مقيم لأهل طاعته، وعذاب أليم لأهل معصيته. ويحتل وصف الجنة ونعيمها مكانة سامقة في الخطاب القرآني، إذ يمثل الغاية السامية التي يتطلع إليها المؤمنون، والجزاء الأوفى الذي يحفز النفوس إلى الإقبال على الله والمسارعة في الخيرات. ودراسة هذه الأوصاف القرآنية للجنة لا تقتصر على مجرد التشويق، بل هي باب لتدبر عظمة الخالق، وسعة كرمه، ودقة عدله، وفهم لحقائق الغيب التي أخبر بها، مما يزيد الإيمان ويقوي اليقين.

وتأتي سورة الرحمن، الملقبة بـ "عروس القرآن" [١]، كنموذج فريد في عرض آلاء الله ونعمه في الخلق والتكوين والتشريع والجزاء. وتتميز السورة بإيقاعها الآسر، وأسلوبها البديع، ولازمتها المتكررة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} الموجهة للثقلين، الإنس والجن، في تحدٍّ وإعجاز وبيان.[٢] ومن أبرز ما انفردت به السورة في سياق الحديث عن الجزاء الأخروي، هو التفصيل الدقيق لنعيم أهل الجنة، حيث لم تقتصر على وصف جنة واحدة، بل عرضت لأربع جنان، مقسمة إلى مجموعتين متمايزتين في المرتبة والوصف: جنتان لمن خاف مقام ربه، وجنتان أخريان لمن هن دونهما في المنزلة. هذا التفصيل الوارد في الآيات (٤٦) إلى (٧٧) يفتح باباً واسعاً للبحث والتدبر في دلالات هذا التمايز وأسبابه وحكمته.وعلى الرغم من تناول المفسرين لهذه الآيات بالشرح والتفصيل ضمن تفسيرهم للسورة، إلا أن الحاجة تبدو قائمة لدراسة موضوعية مستقلة تركز بشكل خاص على المقارنة المنهجية بين مجموعتي الجنان الموصوفتين في سورة الرحمن، وتحليل الفروق الدقيقة بينهما في ضوء أقوال المفسرين المعتبرين، واستجلاء الأبعاد البلاغية والمقاصدية لهذا التفريق. ومن هنا سأسعى في دراستي الى اظهار أوجه التمايز الدقيقة بين مجموعتي الجنان الموصوفتين في الآيات (٤٦-٧٧) من سورة الرحمن، وما هي دلالات هذا التمايز وأبعاده في ضوء مقاصد السورة والقرآن الكريم الى:

- من هم أهل الجنتين الأوليين كما حددتهم الآية {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، وما تفسير المفسرين لهذه الصفة؟
- ما هي الأوصاف التفصيلية التي وردت للجنتين الأوليين (الآيات ٤٨-٦١)، وكيف فسرها أهل العلم؟
- من هم أهل الجنتين الأخريين في قوله تعالى {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، وما معنى "دونهما" الراجح عند المفسرين؟
- ما هي الأوصاف التفصيلية التي وردت للجنتين الأخريين (الآيات ٦٤-٧٧)، وكيف فسرها أهل العلم؟
- ما هي الفروق الجوهرية والمقابلة الدقيقة بين أوصاف المجموعتين من حيث (الأشجار، العيون، الفاكهة، الفرش، الحور العين)؟
- كيف ربط المفسرون بين هذا التمايز في النعيم ودرجات أهل الجنة وأعمالهم؟
- ما هي الدلالات البلاغية والعقدية والمقاصدية المستفادة من هذا التفريق في سياق سورة الرحمن؟

وكان البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.واهدف في بحثي هذا إلى تقديم إضافة علمية في مجال الدراسات القرآنية، من خلال تسليط الضوء على جانب من جوانب الإعجاز البياني والدقة التشريعية في كتاب الله، وبيان حكمة الله وعدله في تفاضل الجزاء، وتحفيز المؤمنين للتنافس في نيل أعلى الدرجات. والله اسأل التوفيق والسداد

المبحث الأول: الجنتان الأوليان: جزاء من خاف مقام ربه

يفتتح الله تعالى ذكر نعيم أهل الجنة في سورة الرحمن ببيان جزاء فئة خاصة من عباده المؤمنين، أولئك الذين تحققوا بصفة جليلة هي "الخوف من مقام الرب"، فكان جزاؤهم جنتين رفيعتي القدر، عظيمتي الشأن. يتناول هذا المبحث تحديد المقصود بهذه الفئة، وتفسير معنى "مقام ربه"، ومعنى تثنية الجزاء بـ "جنتين"، ثم يغوص في تفاصيل الأوصاف البديعة التي وصفت بها هاتان الجنتان في الآيات اللاحقات، مستعيناً بأقوال أئمة التفسير.

المطلب الأول: تحديد أهل الجنتين الأوليين ومعنى "خوف مقام ربه"

قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٤٦]. هذه الآية الكريمة تحدد بوضوح شرط استحقاق هاتين الجنتين العاليتين، وهو "الخوف من مقام الرب". وقد تعددت عبارات المفسرين في بيان المراد بهذه الصفة، ويمكن إجمالها في الأقوال التالية * :الخوف من مقام الحساب يوم القيامة: أي خاف قيامه بين يدي الله تعالى للحساب والجزاء. وهو قول مروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. [٣]واستدلوا له بقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦]. وهذا الخوف يدفع العبد إلى محاسبة نفسه والاستعداد لذلك اليوم بالإيمان والعمل الصالح.[٤] *الخوف من الله نفسه ومن قيامه على كل نفس بما كسبت: أي خاف الله ذاته، أو خاف مقام الله بمعنى علمه واطلاعه ومراقبته لأعمال عبده في كل حين، كما في قوله تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد: ٣٣]. وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي وغيرهما.[٥] وهذا المعنى يركز على المراقبة الدائمة لله تعالى في السر والعلن، وهي من أعلى درجات الإيمان.[٦] *الخوف الذي يردع عن المعصية: وهو التفسير العملي للخوف، حيث يترجم إلى سلوك. فقد روي عن مجاهد أيضاً وإبراهيم النخعي أن المقصود هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقام الله عليه في الدنيا ومقامه بين يديه في الآخرة، فيتركها خوفاً منه.[٧] وهذا هو الخوف المثمر الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، وهو جوهر التقوى.الخوف الشامل لأداء الواجبات وترك المحرمات: فالخائف من الله حقاً هو من يلتزم أوامره ويجتنب نواهيه. فلا يقتصر خوفه على ترك المعصية فحسب، بل يدفعه أيضاً إلى المسارعة في الطاعات وأداء الفرائض.[٨]والحق أن هذه المعاني متلازمة ومتكاملة، فالخوف من مقام الله يشمل الخوف من عدله وعقابه، والخوف من علمه ومراقبته، والخوف من التقصير في حقه، وهذا كله يثمر سلوكاً عملياً يتمثل في فعل الطاعات وترك المنهيات، ومراقبة الله في الخلوات والجلوات. قال ابن القيم: "الخوف المحمود الصادق، هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل".[٩]وعليه، فإن أهل هاتين الجنتين هم صفوة المؤمنين الذين بلغوا درجة عالية من التقوى والمراقبة والإحسان، أولئك الذين استشعروا عظمة الله وجلاله وهيبته، فامتلأت قلوبهم خوفاً منه، وحجزهم هذا الخوف عن اقتراف المعاصي، ودفعهم إلى الإخلاص في العبادة. ولذلك، ذهب كثير من المفسرين إلى أن هاتين الجنتين هما للمقربين والسابقين بالخيرات، وهم أعلى درجة من أصحاب اليمين الذين سيأتي ذكر جنتيهم لاحقاً.[١٠] وهذا التخصيص يشير إلى أن "الخوف من مقام الرب" هو منزلة رفيعة لا ينالها إلا الخاصة من عباد الله المتقين.كما أنَّ الخطاب في سورة الرحمن موجه للثقلين، الإنس والجن، مما يعني أن هذا الوعد بالجنتين يشمل من خاف مقام ربه من مؤمني الجن أيضاً، وهو ما صرح به بعض المفسرين.[١١]

المطلب الثاني: معنى التثنية في قوله "جنتان"

لماذا وُعد من خاف مقام ربه بجنتين اثنتين وليس بجنة واحدة؟ لقد أثارت هذه التثنية اهتمام المفسرين وقدموا في تفسيرها وجوهاً متعددة، منها:

* جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي: فالخوف أثمر أمرين: فعل المأمور، وترك المحظور، فجوزي على كل منهما بجنة.[١٢]

* جنة للعمل وجنة تفضلاً من الله وزيادة: فإحدى الجنتين هي جزاء عمله واستحقاقه، والأخرى هي محض فضل ومنّة من الله تعالى، زيادة في الإكرام.[١٣] *جنة للخائف وجنة لأهله وأتباعه: فله جنة يسكنها هو، وله جنة أخرى تكون مسكناً لأزواجه وخدمه، على عادة الملوك والعظماء في الدنيا أن تكون لهم قصور ومنازل لأتباعهم.[١٤] *جنة للسكنى (منزل وقصر) وجنة للبستان والتنزه: إحداهما مأوى ومنزل يستقر فيه، والأخرى بستان يتنزه فيه ويتمتع بمنظره وثماره.[١٥] *جنتان متجاورتان أو إحداهما فوق الأخرى: ليتنقل المؤمن بينهما فيزداد سروره وبهجته * جنتان من نوعين مختلفين: كقول بعضهم إن إحداهما من ذهب والأخرى من فضة (كما سيأتي تفصيله عند الحديث عن أهل الجنتين الأخريين) ، أو جنة عدن وجنة النعيم.[١٦]وقد ذهب الفراء ومن تبعه إلى أن التثنية هنا لفظية لمراعاة فواصل الآيات، وأنها في الحقيقة جنة واحدة وُصفت بصفات متعددة.[١٧] ولكن ردّ جمهور المحققين هذا القول بقوة، منهم القتبي والنحاس والقرطبي، مستدلين بأن الأوصاف اللاحقة جاءت كلها بصيغة التثنية

الحقيقية: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، {فِيهِمَا عَيْنَانِ}، {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ}، مما يقطع بأن المقصود جنتان حقيقيتان، لا مجرد تثنية لفظية. [١٨] والأظهر، والله أعلم، أن لكل من خاف مقام ربه جنتين حقيقيتين، وأن هذا التعدد في الجزاء هو مظهر من مظاهر كرم الله وعظيم ثوابه لمن بلغ هذه المنزلة الرفيعة. ولا مانع أن تجتمع في هاتين الجنتين عدة معانٍ من التي ذكرها المفسرون، فتكونان للسكنى والتنزه، ولصاحبها ومن يخدمه، وجزاءً على الطاعات والتروك، وزيادة فضل من الله تعالى. المهم هو إثبات التعدد الحقيقي للجزاء تعظيماً لشأن هذه الفئة من المؤمنين.

المطلب الثالث: تحليل تفصيلي لأوصاف الجنتين الأوليين (الآيات ٤٨-٦١)

بعد الوعد المجمل بالجنتين، شرعت الآيات في تفصيل نعيمهما وصفاتهما البديعة، راسمة لوحة غاية في الجمال والكمال، تتناسب مع مقام أهلها الرفيع * :{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} [الرحمن: ٤٨]" * :أفنان" جمع "فَنَن" وهو الغصن المستقيم الناعم، أو جمع "فَنّ" بمعنى النوع والصنف. وكلا المعنيين صحيح ومراد. [١٩] * المعنى: أي هاتان الجنتان ذواتا أغصان نضرة وارفة، متشابكة لكثرتها وحسنها، وذواتا أنواع وأصناف شتى من الأشجار والثمار والألوان واللذات، مما يبعث على البهجة والسرور.[٢٠] ففيهما جمال المنظر وتنوع المشارب والمآكل. وتأكيد التثنية "ذواتا" يؤكد مرة أخرى أنهما جنتان لا جنة واحدة.[٢١] * {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} [الرحمن: ٥٠]* عينان": تثنية عين الماء. "تجريان": أي تتدفقان وتسيلان بسهولة ويُسر ودون انقطاع * .المعنى: في كل واحدة من هاتين الجنتين عين ماء جارية، أو فيهما معاً عينان تجريان في أرجائهما. والجريان يدل على الوفرة والسعة والتدفق المستمر، بخلاف النبع الذي قد يكون أقل فوراناً أو استمرارية (كما سيأتي في وصف الجنتين الأخريين).[٢٢] وقد ذكر بعض المفسرين أسماء لهما كتسنيم وسلسبيل، لكن النص عام، والمقصود وجود ينابيع ماء عذب رقراق متدفق باستمرار، هو سر حياة الجنة ونضارتها وجمالها.[٢٣] *{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} [الرحمن: ٥٢] * من كل فاكهة: تفيد العموم والشمول لكل أنواع الفواكه التي يعرفها الإنسان وما لا يعرفها. "زوجان": تثنية زوج، وفُسرت بمعنى نوعين أو صنفين (كرطب ويابس، أو معروف وغريب)، أو بمعنى مضاعف ومتماثل للكثرة.[٢٤] * المعنى: أن في هاتين الجنتين من جميع أصناف الفواكه، مهما بلغت وتنوعت، صنفان أو نوعان، للدلالة على الكمال والتنوع والكثرة التي لا حدود لها. وهذا يفوق الوصف المذكور للجنتين الأخريين الذي اقتصر على ذكر أنواع محددة.[٢٥] *{مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن: ٥٤] * : متكئين: يصف حال أهل الجنة في استرخاء وراحة ونعيم، والاتكاء من هيئات الملوك وأهل الرفاهية.[٢٦] "فُرُش": جمع فراش، وهي ما يُفرش للجلوس أو الاضطجاع. "بطائنها": جمع بطانة، وهي الوجه الداخلي أو الأسفل من الفراش المقابل للأرض. "إستبرق": هو ما غلظ وثخن من الديباج والحرير، وهو من أفخر المنسوجات. [٢٧] * المعنى: أهل هاتين الجنتين يتنعمون بالاتكاء على فرش فاخرة جداً، ولبلوغ الغاية في وصف فخامتها، ذكر الله تعالى أن بطائنها الخفية التي لا تُرى عادةً مصنوعة من الإستبرق الغالي الثمين، فكيف تكون ظواهرها التي تلي أبدانهم وتراها أعينهم؟ هذا أسلوب بلاغي رفيع جداً في التعبير عن نعيم يفوق الوصف والخيال، حيث يترك للسامع تصور مدى فخامة الظاهر بناءً على وصف الباطن.[٢٨] *{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: ٥٤] * : جنى: هو الثمر الذي حان قطافه ونضج. "دان": أي قريب وسهل التناول.[٢٩] * المعنى: أن ثمار هاتين الجنتين قريبة دانية لأصحابها، يتناولونها كيف شاءوا ومتى شاءوا، وهم قيام أو قعود أو مضطجعون، لا يحتاجون إلى عناء في صعود أو التقاط، ولا يمنعهم منها بعد أو شوك. وهذا من تمام النعيم والتكريم. ولم يأتِ مثل هذا الوصف صراحة في الجنتين الأخريين.[٣٠] *{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} [الرحمن: ٥٦] * : فيهن: الضمير يعود على الجنان أو الفرش المذكورة. [٣١]"قاصرات الطرف": نساء (الحور العين أو نساء الدنيا المؤمنات) يقصرن أبصارهن ونظرهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم، إما حياءً وعفةً وكمال أدب، أو لأنهن لا يرين أحداً أجمل أو أحسن من أزواجهن، أو لشدة محبتهن لهم.[٣٢] وصيغة اسم الفاعل "قاصرات" تشير إلى أن هذه الصفة نابعة منهن اختياراً أو طبعاً، بخلاف صيغة المفعول "مقصورات" التي سترد في وصف حور الجنتين الأخريين.[٣٣] *{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٥٦]* : الطمث: في اللغة يعني المسيس والافتضاض (الجماع).[٣٤] * المعنى: أنهن أبكار عذارى، لم يمسهن ولم يجامعهن أحد قبل أزواجهن الذين أُعدوا لهن في الجنة، سواء كان من الإنس أو من الجن. وهذا تأكيد على كمال عفتهن ونقائهن، وأنهن مخلوقات خصيصاً لأزواجهن مكافأة لهم. وذكر الجن هنا دليل آخر على أن مؤمني الجن يدخلون الجنة وينعمون فيها بما يليق بهم، ومن ذلك الأزواج.[٣٥] *{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٨] * : الياقوت: حجر كريم معروف بصفائه وحمرة لونه الجميل. "المرجان": اختلف في تفسيره هنا، فقيل هو اللؤلؤ الصغير، وقيل هو الخرز الأحمر الجميل. وكلاهما يدل على الحسن والبياض والصفاء والنضارة.[٣٦] * المعنى: تشبيه بليغ لنساء هاتين الجنتين في غاية جمالهن وصفائهن ونضارتهن، فهن يجمعن بين صفاء الياقوت وبياض المرجان (اللؤلؤ) وحمرته المشربة بياضاً (كحمرة الخدود) ، أو صفاء الياقوت وحمرة المرجان (الخرز الأحمر).[٣٧] وهذا تشبيه بأجمل وأثمن الجواهر للدلالة على جمال يفوق المعتاد * .{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠] * :تأتي هذه الآية كخاتمة وتعقيب جامع على وصف نعيم هاتين الجنتين الأوليين.

والإحسان الأول هو إحسان العبد في الدنيا بعمله الصالح وتقواه وخوفه من مقام ربه، والإحسان الثاني هو إحسان الله تعالى إليه في الآخرة بهذا النعيم الكامل والتكريم العظيم.[٣٨] * المعنى: أن هذا الجزاء الفاخر هو المقابل العادل والمكافئ لدرجة الإحسان التي بلغها هؤلاء المؤمنون في الدنيا. فالله تعالى يجازي الإحسان بالإحسان، والزيادة فضل منه سبحانه. وهي قاعدة إلهية تؤكد على كمال عدل الله وفضله، وأن الجزاء من جنس العمل.[٣٩] بهذا العرض التفصيلي لنعيم الجنتين الأوليين، تتضح عظمة الجزاء وكماله، وتناسبه مع المقام الرفيع لأهله، أولئك الذين خافوا مقام ربهم ففازوا بهذا النعيم المقيم الذي يجمع بين جمال الطبيعة (الأغصان والعيون والفواكه)، وكمال الراحة والرفاهية (الفرش الباطنة من إستبرق، ودنو الثمار)، وجمال العنصر البشري المكمل للنعيم (الحور القاصرات الطرف كالياقوت والمرجان)، وكل ذلك في إطار قاعدة العدل الإلهي: جزاء الإحسان بالإحسان.

المبحث الثاني: الجنتان الأخريان، تمايز في النعيم ودلالاته

بعد أن أسْهبتِ الآيات في وصف الجنتين الأوليين المخصصتين لمن خاف مقام ربه، انتقل السياق القرآني لذكر مجموعتين أخريين من الجنان، قال تعالى: {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٦٢]. يهدف هذا المبحث إلى تحديد أهل هاتين الجنتين، وبيان منزلتهما مقارنة بالأوليين استناداً إلى معنى قوله "ومن دونهما"، ثم تحليل أوصافهما الواردة في الآيات (٦٤-٧٧) تحليلاً مفصلاً، وعقد مقارنة منهجية بين صفات المجموعتين لاستجلاء الفروق الجوهرية بينهما، وأخيراً بيان الدلالات البلاغية والمقاصدية لهذا التفاضل في النعيم.

المطلب الأول: تحديد أهل الجنتين الأخريين ومعنى قوله تعالى "ومن دونهما"

تعد عبارة {وَمِن دُونِهِمَا} هي المفتاح لفهم علاقة هاتين الجنتين بالجنتين السابقتين وتحديد منزلة أهلهما. وقد دارت أقوال المفسرين حول معنى "دونهما" هنا على اتجاهين رئيسيين:الاتجاه الأول (قول الجمهور): "دونهما" بمعنى أقل منهما في المرتبة والفضيلة:هذا هو القول الذي عليه جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس، وابن زيد، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم. [٤٠] فمعنى "ومن دونهما" أي: ومن أقل منهما في الدرجة والمنزلة والفضل. [٤١] وعليه، تكون هاتان الجنتان لأهل منزلة أقل من أهل الجنتين الأوليين. وقد ربط كثير من المفسرين هذا التفاوت بالمراتب المذكورة في سورة الواقعة وغيرها، فجعلوا الجنتين الأوليين للسابقين المقربين، والجنتين الأخريين لأصحاب اليمين. [٤٢] ويؤيد هذا القول عدة أمور * :ظاهر اللفظ: فإن كلمة "دون" كثيراً ما تستعمل في اللغة بمعنى الأقل والأدنى رتبة * .الأثر المروي عن أبي موسى الأشعري: "جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين" أو "لأصحاب اليمين".[٤٣] وهذا الأثر، وإن كان موقوفاً، له حكم الرفع لأنه يتعلق بأمور الغيب، وهو يوضح التمايز في المادة والدرجة * .سياق الأوصاف اللاحقة: كما سيأتي تفصيله، فإن الأوصاف المذكورة للجنتين الأخريين تبدو، عند المقارنة، أقل في الفخامة والكمال والتنوع من أوصاف الجنتين الأوليين، مما يدعم كونهما أقل درجة. [٤٤] * مبدأ التفاضل في الجزاء: وهو مبدأ قرآني عام، فالناس يتفاوتون في إيمانهم وأعمالهم، ومن تمام عدل الله أن يتفاوتوا في جزائهم. {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا} [الأنعام: ١٣٢].

* الاتجاه الثاني (قول أقلية): "دونهما" بمعنى غيرهما أو أقرب منهما ذهب قلة من المفسرين إلى أن "دونهما" لا تعني أقل في الرتبة، بل قد تعني "غيرهما" أو "أمامهما مكاناً" أو "أقرب إلى العرش". ونُسب للضحاك أن "دونهما" أي في المكان أمامهما. [٤٥] وذهب فريق ثالث إلى أن الخائف الواحد له أربع جنان: جنتان للسابقين وجنتان لأصحاب اليمين، أو أن لكل خائف أربع جنان. [٤٦]وهذا الاتجاه مرجوح عند المحققين لعدة أسباب * :مخالفته لظاهر اللفظ المتبادر لمعنى "دون" في مثل هذا السياق * .مخالفته للأثر المروي عن أبي موسى الأشعري * .مخالفته لسياق المقارنة في الأوصاف الذي يظهر تفضيل الأوليين الراجح والظاهر هو قول الجمهور بأن الجنتين المذكورتين في قوله تعالى {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} هما أقل درجة وفضلاً ومنزلة من الجنتين الأوليين المذكورتين في قوله {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}. وأن هذا التفاضل يعكس تفاوت درجات المؤمنين وأعمالهم، فالأوليان للسابقين المقربين، والأخريان لأصحاب اليمين ومن هم في معناهم. وهذا لا ينقص من قدر هاتين الجنتين، فهما نعيم عظيم وفضل كبير، ولكن الله يفضل بعض عباده على بعض في الجزاء كما تفاضلوا في العمل.

المطلب الثاني: تحليل تفصيلي لأوصاف الجنتين الأخريين (الآيات ٦٤-٧٧)

بعد تحديد منزلة هاتين الجنتين بأنهما "دون" الأوليين، بدأت الآيات في وصف نعيمهما، والذي يظهر فيه التمايز جلياً عند مقارنته بوصف الأوليين * :{مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن: ٦٤] * : مدهامتان: من "الادّهِمام"، وهو شدة الخضرة حتى تضرب إلى السواد لكثرة الري وتكاثف الأشجار.[٤٧]

* المعنى: هاتان الجنتان شديدتا الخضرة داكنتان، مما يدل على كثافة أشجارهما ونضارتهما وخصوبتهما. ولكن، عند مقارنته بوصف الأوليين {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، يرى المفسرون أن وصف "الأفنان" يوحي بتنوع الأغصان والألوان والأنواع والبهجة البصرية بشكل أكبر من مجرد "الادهِمام" الذي يدل على كثافة الخضرة المائلة للسواد. [٤٨] فكأن الأوليين أكثر إشراقاً وتنوعاً وبهجة للناظرين * .{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن: ٦٦] :

*نضاختان: من "النضخ"، وهو فوران الماء وخروجه بقوة، أو سيلانه. وقيل: النضخ أقل من الجريان، وهو قريب من النضح (الرش). [٤٩] المعنى: فيهما عينان فوارتان بالماء، تتدفقان بقوة. وعند المقارنة بـ "تجريان" في الجنتين الأوليين، استظهر جمهور المفسرين أن الجريان يدل على سعة التدفق وسهولته واستمراريته ووفرته بشكل أكبر من النضخ الذي قد يوحي بالفوران القوي ولكن ربما بكمية أقل أو بتدفق ليس بنفس السعة والهدوء والاستمرارية. [٥٠] فالعيون الجارية أكمل وأفضل من العيون النضاخة.

* {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} [الرحمن: ٦٨] * :ذكرت "الفاكهة" بشكل عام، ثم خُصص "النخل" و"الرمان" بالذكر. واختلف في سبب هذا العطف: هل هما ليسا من جنس الفاكهة؟ أم هو من باب عطف الخاص على العام لبيان شرفهما وفضلهما وكثرتهما؟ (والثاني هو الأرجح).[٥١]

* المعنى: في هاتين الجنتين أنواع من الفاكهة، ومن أبرزها وأشرفها النخيل والرمان. ولكن عند المقارنة بقوله في الأوليين: {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}، يتضح الفرق جلياً. فوصف الأوليين يدل على الشمولية المطلقة ("من كل") والتنوع المضاعف ("زوجان") لجميع أنواع الفواكه بلا استثناء. أما هنا، فجاء اللفظ عاماً "فاكهة" ثم خصص نوعين بالذكر، مما يوحي بأن درجة الشمول والتنوع المذكورة هنا أقل من سابقتها. [٥٢]

* {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} [الرحمن: ٧٠]* :خيرات: جمع خَيْرة، وهي المرأة الصالحة حسنة الخلق كريمة الأصل. "حسان": جمع حسناء، وهي جميلة الوجه والخلقة. [٥٣] * المعنى: يصف نساء هاتين الجنتين بأنهن جامعات بين جمال الباطن والأخلاق (خيرات) وجمال الظاهر والخلقة (حسان). وهو وصف عظيم بلا شك، ولكنه يعتبر وصفاً أعم وأشمل مقارنة بالأوصاف المحددة والدقيقة التي ذكرت لنساء الجنتين الأوليين: {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} و {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}. فكأن الوصف الأول أكثر تفصيلاً وتحديداً لجمالهن وعفتهن.[٥٤] *{حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: ٧٢] * : الحور: جمع حوراء، وهي المرأة شديدة بياض العين في شدة سوادها، مع بياض البدن. "مقصورات": أي محبوسات ومصونات في خدورهن ومنازلهن (الخيام)، لا يخرجن منها، أو قُصرن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً. [٥٥]"الخيام": قيل هي الخيام المعروفة، وقيل هي بيوت وقصور من لؤلؤ مجوف، كما ورد في بعض الآثار. [٥٦]* المعنى: نساء جميلات بيضاوات، مصونات ومحفوظات في مساكنهن، أو مقصورات على أزواجهن. وهنا يبرز الفرق الدقيق مع وصف نساء الأوليين بـ {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}. فصيغة اسم الفاعل "قاصرات" تشير إلى أن قصر الطرف صفة ذاتية نابعة منهن اختياراً وطبعاً لكمال عفتهن. أما صيغة اسم المفعول "مقصورات" فتشير إلى أنهن حُفظن وصُون في أماكنهن، أو قُصِرن على أزواجهن.وهذا التفاوت اللغوي الدقيق بين الصيغتين يعزز فكرة التدرج في المراتب، فكمال نساء الأوليين ذاتي، وكمال نساء الأخريين فيه معنى الحفظ والصون الخارجي. [٥٧] *{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٧٤] * :تكرار لهذا الوصف الذي سبق في الآية (٥٦) لنساء الجنتين الأوليين * .المعنى: تأكيد صفة البكارة والعفة التامة لنساء هاتين الجنتين أيضاً، وأنهن مخلوقات لأزواجهن لم يمسهن أحد قبلهم، لا من الإنس ولا من الجن. وهذا يدل على أن هذه الصفة (البكارة) مشتركة بين نساء الدرجتين، وهي من كمال النعيم.[٥٨] *{مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: ٧٦] * : متكئين: يصف حال أهل هاتين الجنتين أيضاً بالراحة والنعيم. "رفرف": جمع رفرفة، وفُسرت بالوسائد، أو البسط العالية، أو رياض الجنة وفُرُشها المرتفعة. [٥٩]"خضر": لونها أخضر. "عبقري": هو كل منسوج فاخر بديع، كالبُسط الموشاة والزرابي والطنافس الثمينة. [٦٠] "حسان": أي جميلة المنظر والهيئة * .المعنى: يتنعم أهل هاتين الجنتين بالاتكاء على وسائد أو فرش خضراء، وعلى بسط ونمارق فاخرة جميلة. وهذا وصف للنعيم والرفاهية بلا شك. ولكن، عند مقارنته بوصف متكأ أهل الجنتين الأوليين: {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}، نجد أن وصف بطانة الفرش بالإستبرق (وهو الحرير الغليظ) كان أبلغ في الدلالة على الفخامة المتناهية، لأنه إذا كانت البطانة الخفية بهذه الروعة، فالظاهر أعظم. أما هنا، فوصف الظاهر نفسه (الرفرف والعبقري) بأنه أخضر وحسن، وهو وإن كان جميلاً وفاخراً، لكنه لا يحمل نفس قوة الإيحاء البلاغي بفخامة أعظم غير موصوفة. [٦١] *{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨] * :تختم الآيات بتمجيد الله تعالى والثناء عليه، المتصف بصفات الجلال (العظمة والكبرياء) والإكرام (الفضل والجود) * .المعنى: هذا ختام يليق بذكر نعم الله العظيمة على أهل الجنة بدرجتيهم، وفيه إشارة إلى أن كل هذا النعيم إنما هو بفضل الله وإكرامه وجوده، المستحق للتعظيم والتمجيد. [٦٢] ويلاحظ أن ختام وصف الأوليين كان {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} الذي يربط الجزاء بالعمل بشكل مباشر، أما هنا فالختام بالثناء العام على الله ذي الجلال والإكرام.بهذا التحليل التفصيلي لأوصاف الجنتين الأخريين، ومقارنتها الضمنية مع الأوليين، يتأكد بوضوح وجود تمايز وتفاضل في درجة النعيم بين المجموعتين، وهو ما سيتم إبرازه بشكل منهجي في المطلب التالي.

المطلب الثالث: مقارنة منهجية بين أوصاف المجموعتين وإبراز الفروق الجوهرية

لتأكيد وتوضيح نتيجة التفاضل بين مجموعتي الجنان المذكورة في سورة الرحمن، والتي استُظهرت من تحليل معنى "ومن دونهما" ومن المقارنات الضمنية أثناء تحليل الأوصاف، نقوم هنا بعقد مقارنة منهجية مباشرة بين الأوصاف المتقابلة للمجموعتين يلخص أبرز الفروق الجوهرية ودلالاتها

كما فهمها المفسرون :الجنتان الأوليان (لمن خاف مقام ربه) (الآيات ٤٦-٦١) والجنتان الأخريان (ومن دونهما) (الآيات ٦٢-٧٧) دلالة الفرق الراجحة عند المفسرين في:

١- الأهلية والمنزلة {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}، درجة عالية من الخوف والمراقبة والإحسان- المقربون/السابقون. [٦٣]

والاخرى {وَمِن دُونِهِمَا}، درجة أقل في الخوف والعمل - أصحاب اليمين [٦٤] . تفاضل في المنزلة بناءً على تفاضل الأعمال ودرجات التقوى. الأوليان أعلى وأفضل .

٢-الأشجار والخضرة {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، ذات أغصان وأنواع وألوان متعددة ومتنوعة. [٦٥] والاخرى {مُدْهَامَّتَانِ}، شديدة الخضرة المائلة للسواد من شدة الري.[٦٦] الأوليان أكثر بهجة وتنوعاً وجمالاً في الألوان والأشكال والثانية أكثر كثافة ولكن أقل تنوعاً ظاهرياً وإشراقاً. [٦٧]

٣-الينابيع والعيون {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، تتدفقان وتسيلان بسهولة وسعة واستمرار. [٦٨] والاخرى {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}، فوارتان بالماء، تتدفقان بقوة. [٦٩] الجريان أكمل وأوسع وأكثر هدوءاً ووفرة من النضخ. عيون الأوليين أفضل وأعلى درجة. [٧٠]

٤-الفواكه والثمار {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}، شمولية مطلقة "من كل"، وتنوع مضاعف "زوجان". [٧١] والاخرى {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، ذكر عام للفاكهة مع تخصيص نوعين لشرفهما. [٧٢]الأوليان أشمل وأعم وأكثر تنوعاً في الفواكه بلا حدود. الثانية فيها فاكهة عظيمة (النخل والرمان) ولكن التنوع المذكور أقل شمولاً وعمومية. [٧٣]

٥-قطاف الثمار {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}، ثمارها قريبة دانية سهلة التناول. [٧٤]والاخرى لم يرد وصف مماثل بشكل صريح، التنصيص على دنوّ الجنى في الأوليين قد يوحي بكمال التكريم وسهولة التناول بشكل يفوق ما في الأخريين، وإن كان نعيم الجنة كله يسيراً .

٦- المفروشات والمتكآت {عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}، وصف البطانة بالإستبرق للدلالة على فخامة أعظم للظاهر. [٧٥]والاخرى {عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}، وصف مباشر للظاهر: وسائد وبسط خضر حسان.[٧٦] الأسلوب البلاغي في وصف الأوليين (ذكر البطانة) أبلغ وأقوى في الإيحاء بالفخامة التي تفوق الوصف. فرش الأوليين أفخم وأعلى.[٧٧]

٧-أما بالنسبة الى نساء الجنة فـ (الصفة العامة) أنهن {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، يقصرن أبصارهن بأنفسهن - صفة ذاتية/اختيارية.[٧٨] اما في صفة نساء الجنة الاولى فـ {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، محفوظات ومصونات في الخيام - صفة فيها معنى الحفظ الخارجي؛ [٧٩]فصيغة الفاعل "قاصرات" أبلغ في كمال العفة الذاتية من صيغة المفعول "مقصورات"... فنساء الأوليين أكمل في هذه الصفة. [٨٠]أما نساء الجنة فـ (الجمال) في الجنة الاولى فهو {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، تشبيه دقيق بأجمل الجواهر في الصفاء والبياض والحمرة. [٨١]أما في الاخريين فـ {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}، وصف عام بالجمع بين صلاح الباطن وجمال الظاهر.[٨٢] التشبيه الحسي المحدد في الأوليين (ياقوت ومرجان) أبلغ في تصوير الجمال الفائق من الوصف العام. (خيرات حسان) في الأخريين. نساء الأوليين أكثر جمالاً وتحديداً للوصف.[٨٣] أما (البكارة) لنساء الجنة فهي صفة مشتركة بين نساء الدرجتين، وهي من تمام النعيم للجميع، {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٥٦] | {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٧٤]

٨-والتعقيب الختامي {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}، ربط مباشر بين الجزاء ودرجة الإحسان. [٨٤] {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، ختام بالثناء العام والتمجيد.[٨٥] ختامٌ وصف الأوليين يؤكد على المقابلة الدقيقة بين العمل والجزاء في أعلى مراتبه. الختام الثاني عام ومناسب لعموم الفضل والإكرام.

خلاصة المقارنة:يتضح من هذه المقارنة المنهجية أن جميع الأوصاف التفصيلية للجنتين الأوليين جاءت بصيغة تدل على الأفضلية والكمال والتنوع والشمول بدرجة تفوق ما جاء في وصف الجنتين الأخريين. فالأفنان أبهى من الادهِمام، والجريان أوسع من النضخ، وشمول كل فاكهة زوجين أعظم من ذكر فاكهة ونخل ورمان، وبطائن الإستبرق أفخم من الرفرف والعبقري، ودنو الجنى أصرح في التكريم، وقاصرات الطرف كالياقوت والمرجان أكمل وأجمل من خيرات حسان مقصورات. وهذا التفاضل الملحوظ في كل جوانب النعيم يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك صحة ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن الجنتين الأوليين أعلى درجة وأرفع منزلة من الجنتين الأخريين، وأن هذا التفاوت هو جزاء وفاق لتفاوت أهلهما في درجات الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

المطلب الرابع: الدلالات البلاغية والمقاصدية للتفريق بين الجنتين

إن هذا التفصيل الدقيق في وصف مجموعتي الجنان، والمقابلة المنهجية بين أوصافهما في سورة الرحمن، لا يقتصر على مجرد الإخبار عن تفاوت الدرجات، بل يحمل في طياته أبعاداً بلاغية رائعة ودلالات مقاصدية عميقة، تتناغم مع أهداف السورة والمقاصد العليا للقرآن الكريم. ويمكن إبراز أهم هذه الدلالات في النقاط التالية:

* **الإعجاز البياني والبلاغي** * :دقة اختيار الألفاظ: يتجلى الإعجاز في انتقاء ألفاظ محددة لكل درجة من النعيم، بحيث تعبر بدقة عن مستوى الفضل والكمال. فالمقابلة بين:- (أفنان / مدهامتان)- و (تجريان / نضاختان)- و (من كل فاكهة زوجان / فاكهة ونخل ورمان)- و (بطائنها من إستبرق / رفرف وعبقري)- و (قاصرات / مقصورات)- و (كأنهن الياقوت والمرجان / خيرات حسان) ... تُظهر الفروق الدقيقة في المعنى والصورة الصوتية والبصرية. * أساليب الإيجاز والإطناب: استخدم القرآن أسلوب الإيحاء البليغ في وصف فرش الأوليين بذكر بطائنها، وهو إيجاز يحمل معنى إطناب في الفخامة. بينما وصف فرش الأخريين وصفاً مباشراً للظاهر * .جمال التصوير والمقابلة: رسمت الآيات لوحتين متقابلتين للنعيم، تبرز كل منهما الأخرى، وتعمق الإحساس بعظمة النعيم في كل درجة، مع إظهار التفوق الواضح للدرجة الأعلى * .تقرير كمال عدل الله تعالى :إن التفريق الدقيق في الجزاء بناءً على التفاضل في العمل هو مظهر من مظاهر عدل الله المطلق. فالله تعالى لا يسوي بين المحسن والمسيء، ولا بين السابق بالخيرات والمقتصد. {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم: ٣٥-٣٦]. فكما تفاوت الناس في درجة خوفهم من الله ومراقبتهم له وإحسانهم في العمل، كان من تمام العدل أن يتفاوتوا في درجات نعيمهم. وهذا يطمئن المؤمن بأن عمله لا يضيع، وأن لكل درجة من الإيمان والتقوى جزاءها المناسب. (٨٦) *بيان سعة رحمة الله وفضله :على الرغم من إثبات التفاضل بين الدرجتين، فإن وصف الجنتين الأخريين (الأدنى درجة) جاء أيضاً بصورة عظيمة ونعيم كبير وفضل واسع. فهما جنتان مدهامتان فيهما عينان نضاختان وفاكهة ونخل ورمان وحور خيرات حسان وفرش من رفرف وعبقري. وهذا يدل على سعة رحمة الله التي تشمل حتى أصحاب الدرجات الأدنى من أهل الجنة، وأن مجرد دخول الجنة هو فوز عظيم ورحمة كبرى. وتكرار لازمة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} بعد وصف نعيم كل درجة يؤكد أن كلاً منهما هو من آلاء الله العظيمة التي تستوجب الشكر والحمد.(٨٧) *تحفيز المؤمنين على التنافس في الخيرات :إن عرض هذا التفاوت في درجات النعيم يشحذ همم المؤمنين، ويحفزهم على عدم الرضا بالدرجات الدنيا، بل السعي الحثيث لبلوغ أعلى المراتب، مرتبة "من خاف مقام ربه" التي تؤهل للجنتين الأوليين. فهو يفتح باب التنافس الشريف في الطاعات، ويدعو إلى الارتقاء في مقامات الإيمان والتقوى والإحسان، طمعاً في نيل الجزاء الأوفى والقرب من الله تعالى. {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]. (٨٨) *الانسجام مع مقاصد سورة الرحمن :السورة كلها تعداد لآلاء الله ونعمه الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة. وتفصيل درجات النعيم الأخروي هو جزء أساسي من هذه النعم. فبيان دقة الجزاء، وتناسبه مع العمل، وإظهار عدل الله ورحمته في آن واحد، كل ذلك من أعظم آلاء الله التي تدل على كمال ربوبيته وألوهيته، وتستوجب من الثقلين (الإنس والجن) الإقرار بها وشكرها وعدم تكذيبها. (٨٩)وبهذا، يتضح أن التفريق بين الجنتين في سورة الرحمن ليس مجرد وصف تفصيلي، بل هو بناء متكامل يحمل دلالات بلاغية وعقدية وتربوية ومقاصدية عميقة، تخدم أهداف السورة والغاية من إنزال القرآن الكريم.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، ففي ختام هذه الدراسة الموضوعية التي سعت إلى استجلاء صفة الجنتين المذكورتين في سورة الرحمن وتحليل الفروق بينهما في ضوء أقوال المفسرين المعتبرين، يمكن تلخيص أبرز النتائج التي تم التوصل إليها * :تحديد أهل الجنان ومراتبهم: أكدت الدراسة أن الجنتين الأوليين (الآيات ٤٦-٦١) هما جزاء خاص لمن بلغوا درجة عالية من الخوف من الله ومراقبته وإحسان العمل، وهم السابقون المقربون. أما الجنتان الأخريان (الآيات ٦٢-٧٧) فهما لمن هم دونهم في المرتبة، وهم أصحاب اليمين، كما دل عليه صريح قوله تعالى {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} وفقاً لتفسير جمهور العلماء * .إثبات التفاضل الدقيق في النعيم: أظهر التحليل المقارن للأوصاف وجود تفاضل واضح ومنهجي بين المجموعتين في جميع جوانب النعيم الموصوفة تقريباً: فالجنتان الأوليان تتميزان بأشجار ذات أفنان متنوعة الألوان والأشكال، وعيون جارية بسعة ووفرة، وفواكه من كل نوع زوجين، وفرش بطائنها من إستبرق، وثمار دانية، وحور قاصرات الطرف كالياقوت والمرجان. بينما الجنتان الأخريان توصفان بأنهما مدهامتان (شديدتا الخضرة)، وفيهما عينان نضاختان (فوارتان)، وفاكهة ونخل ورمان، ورفرف خضر وعبقري حسان، وحور خيرات حسان مقصورات في الخيام. وهذا التفاضل يؤكد علو منزلة الأوليين على الأخريين * .بيان حكمة التفاضل ودلالاته: أوضحت الدراسة أن هذا التفاضل في الجزاء ليس اعتباطياً، بل هو تجسيد دقيق لعدل الله تعالى، حيث يتناسب الجزاء مع درجة العمل ومقام العامل. كما أنه مظهر لسعة رحمة الله، حيث إن كلا الدرجتين تمثل نعيماً عظيماً وفضلاً كبيراً. ويحمل هذا التفريق دلالات بلاغية تعكس إعجاز القرآن في دقة الوصف، ودلالات مقاصدية تهدف إلى تحفيز المؤمنين على التنافس في الخيرات والسعي لنيل أعلى الدرجات * .الانسجام مع مقاصد السورة والقرآن: يتفق هذا

التفصيل والتفاضل في وصف نعيم الجنة مع المقصد العام لسورة الرحمن المتمثل في تعداد آلاء الله ونعمه، ومن أعظم هذه الآلاء بيان عدله ورحمته في جزاء عباده. كما ينسجم مع المبدأ القرآني العام في تفاضل الجزاء بتفاضل الأعمال.وبناءً على هذه النتائج، تبرز أهمية دراسة أوصاف الجنة والنار في القرآن الكريم ليس فقط للترغيب والترهيب، بل أيضاً لاستخلاص الدلالات العقدية والبلاغية والتشريعية التي تعمق فهم المؤمن لكتاب ربه، وتزيد من إيمانه ويقينه، وتدفعه إلى العمل بما يرضي الله تعالى طمعاً في جنته ورضوانه.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ). حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. تحقيق: سيد عمران. القاهرة: دار الحديث، .

٢ - ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر، (طبعة؟ سنة؟).

٦ - الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٩- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

١٠- الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٣- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٤/٢١٨٢.

١٥الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م،١٥٧/١، وقال عنه حديث صحيح على شرط مسلم.

هوامش البحث

١- ورد هذا اللقب في بعض الآثار، وإن كان في سنده مقال، إلا أنه اشتهر بين العلماء. ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١٩٥/١؛ وينظر أيضاً القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، في مقدمة تفسير السورة، ١٥١/١٧.

٢ -ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م،٢٢٩/٢٧و ٢٤٣.

٣- ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٥٦/٢٣؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦/١٧.

٤- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب . بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٧٧/١٩ و٣٧٠/٢٩.

٥- ينظر الطبري، جامع البيان٥٧/٢٣؛ وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،٤٦٢/٧.

٦- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، صفحة ٨٣١.

٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦/١٧؛ والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ، ٣٣٨/٤-٣٤٠.

٨- الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٦٩/٢٩-٣٧٠.

٩- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/ ٥١٠.

١٠- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٤٦٢-٤٦٤؛ والآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ١١٤/١٤.

١١-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٦٣/٧؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢٩/٢٧ و٢٤٣.

١٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١٧/١٧؛ والآلوسي، روح المعاني،١١٥/١٤.

١٣- ذكره الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٠/٢٩ كأحد الأوجه.

١٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٢/٧-٤٦٤؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١٧/١٧.

١٥-ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧١/٢٩؛ والبغوي، معالم التنزيل، ٣٤١/٤.

١٦- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧/١٧؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٢/٧-٤٦٣.

١٧- نسبه القرطبي وغيره للفراء. ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧/١٧.

١٨ – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧/١٧؛ وانظر كلام النحاس في إعراب القرآن ٢١١/٤-٢١٢.

١٩- الطبري، جامع البيان، ٥٨/٢٣-٥٩؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٨/١٧.

٢٠- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٢/٧-٤٦٧.

٢١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،١٧٧/١٧.

٢٢- المقارنة تستفاد من كلام المفسرين عند تفسير الآيتين (٥٠ و٦٦). ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٢/٢٩؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٤/ ١١٦-١١٧.

٢٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧-٤٦٧.

٢٤ – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٩/١٧ و١٨٣؛ والطبري، جامع البيان، ٢٣/ ٦١

٢٥– المقارنة مع الآية ٦٨. ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١.

٢٦– الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٣/٢٩.

٢٧ – لسان العرب، مادة "برق"، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين بن منظور الانصاري (٧١١هـ)، دار صادر– بيروت، طبعة ثالثة ١٤١٤

٢٨–ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ والآلوسي، روح المعاني، ١١٧/١٤ و١٢٤.

٢٩– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٠/١٧؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٥/٧.

٣٠- بمقارنة سياق وصف الجنتين (٤٨-٦١) مع سياق وصف الأخريين (٦٤-٧٧).

٣١– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ١٨٠.

٣٢– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٤٦٨؛ والرازي، مفاتيح الغيب،٣٧٤/٢٩–٣٧٥.

٣٣– سيأتي تفصيل المقارنة في المبحث الثاني.

٣٤– ينظر لسان العرب ١٦٦/٢، فصل العين المهملة؛ والطبري، جامع البيان، ٦٤/٢٣.

٣٥– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨١/١٧؛ والشنقيطي، محمد الأمين (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٥٢٠/٧.

٣٦– ينظر أقوال المفسرين في الطبري، جامع البيان، ٦٧/٢٣؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٢/١٧؛ وابن كثير، تفسير القرآن ، ٤٦٥/٧.

٣٧ –السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١.

٣٨– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٤/٧–٤٧٠.

٣٩– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٢/١٧–١٨٣.

٤٠– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٣/١٧–١٨٤؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٤/٧–٤٦٧.

٤١– الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٨١/٢٩؛ والألوسي، روح المعاني، ١٢٠/١٤

٤٢– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ وابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق: سيد عمران. ، ١٠٢/١–١٠٤

٤٣– النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م،١٥٧/١، وقال عنه حديث صحيح على شرط مسلم.

٤٤– سيأتي تفصيل هذه المقارنة في المطلب الثالث من هذا المبحث.

٤٥– ينظر الجامع لأحكام القرآن، (مرجع سابق)، [جزء/صفحة].

٤٦– ينظر الأقوال المختلفة في القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٤/١٧.

٤٧– الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٩/٢٩؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٤/١٧.

٤٨– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٤٦٣؛ والآلوسي، روح المعاني، ١١٦/١٤.

٤٩– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٥/١٧.

٥٠– الرازي، مفاتيح الغيب،٣٧٩/٢٩؛ وابن القيم، حادي الأرواح،١٠٣/١.

٥١– جمهور المفسرين على أنه من عطف الخاص على العام للتكريم. ينظر الطبري، جامع البيان،٣٧٩/٢٩–٣٨٠؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ١٨٣–١٨٥.

٥٢– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٢١/١٤.

٥٣– الطبري، جامع البيان، ٢٦٢/٢٢؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٨/٧.

٥٤– المقارنة تستفاد من عموم الألفاظ في الآية ٧٠ وخصوصها في الآيتين ٥٦ و٥٨.

٥٥– ينظر الطبري، جامع البيان، ٢٦٧/٢٢–٢٦٩؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٨/١٧.

٥٦- ورد في الحديث: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة..."، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢١٨٢/٤.

٥٧- ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٧٢/٢٧-٢٧٤؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٢٧/٣.

٥٨- ينظر تفسير القرطبي، ١٨٧/١٧-١٨٨؛ تفسير السعدي، ٨٣١.

٥٩- ينظر الطبري، جامع البيان، ٢٤٢/٢٢و ٢٧٣-٢٧٥؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٤/١٧ و١٩٠.

٦٠- الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٨١/٢٩-٣٨٣؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٧/٧.

٦١- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧٤/٢٧.

٦٢- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١-٨٣٣.

٦٣- استنباط من تفسير الآية ٤٦ والمقارنة مع الفئات القرآنية. ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٢/٧-٤٦٦؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١-٨٣٣.

٦٤- استنباط من تفسير الآية ٦٢ والمقارنة مع الفئات القرآنية، ينظر المراجع السابقة، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٣/١٧.

٦٥- ينظر تفسير الآية ٤٨ في الطبري، جامع البيان، ٥٩/٢٣؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧و١٨٤.

٦٦- ينظر تفسير الآية ٦٤ في الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٩/٢٩؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٤/١٧.

٦٧- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٤٦٧/٧؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٢٠/١٤.

٦٨- ينظر تفسير الآية ٥٠ في تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٢/٢٩؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٤٦٤/٧.

٦٩- ينظر تفسير الآية

٧٠- الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٩/٢٩؛ وابن القيم، حادي الأرواح، ١٠٣.

٧١- ينظر تفسير الآية ٥٢ في تفسير الطبري، جامع البيان، ٦٠/٢٣-٦١؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٩/١٧و١٨٣.

٧٢- ينظر تفسير الآية ٦٨ في تفسير الطبري، جامع البيان، ٧٣/٢٣-٧٤؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،١٨٥/١٧.

٧٣- السعدي، تيسير الكريم الرحمن،٨٣١؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٠٣/١٤.

٧٤- ينظر تفسير الآية ٥٤ في تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،١٨٠/١٧؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٥/٧

٧٥- ينظر تفسير الآية ٥٤ في تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ والآلوسي، روح المعاني، ١١٧/١٤

٧٦- ينظر تفسير الآية ٧٦ في تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٨٠/٢٩؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٩/٧.

٧٧- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦٧/٢٧.

٧٨- ينظر تفسير الآية ٥٦ في تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٤٦٥/٧؛ والرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٥/٢٩.

٧٩- ينظر تفسير الآية ٧٢ في تفسير الطبري، جامع البيان، ٣٨٠/٢٩؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨٨/١٧.

٨٠- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧٣/٢٧؛ والآلوسي، روح المعاني، ١٢٢/١٤.

٨١- ينظر تفسير الآية ٥٨ في تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٧/٧-٤٦٨.

٨٢- ينظر تفسير الآية ٧٠ في تفسير الطبري، جامع البيان،٧٣/٢٣-٧٤؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٨/٧.

٨٣- المقارنة مبنية على دقة التشبيه في الأولى وعموم الوصف في الثانية. انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٢٣/١٤.

٨٤- ينظر تفسير الآية ٦٠ في تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٧٠/٧؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١.

٨٥- ينظر تفسير الآية ٧٨ في تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٣١.

٨٦- ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ٣٧٩/٢٩-٣٨٠؛ والآلوسي،١٢٥/١٤-١٢٦.

٨٧- ابن القيم، حادي الأرواح، ٢٢٠-٢٢١.

٨٨- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٧/٣٠.